

اللغة العربية وما ألحقته بها الترجمة من تشويهات

د. محمد عبد الرحمن مرحبا(*)

وتجنيبها التعابير السقيمة الملحونة التي بدأت تتألب عليها من كل حذب وصوب لتُفقد هويتها وتذيقها في كيان غير كيانها، وتجعلها تابعاً يدور في فلك اللغات الأوروبية شكلاً واسلوباً ومنهج تعبير كما سنرى بعد قليل.

نحن بحاجة إلى الانطلاق والانفتاح على المزيد من التراث العالمي المتنوع والافادة منه في إثراء الثقافة العربية الصاعدة في إطار المشروع الحضاري العربي الذي نتهياً له ونجند له جميع طاقاتنا وامكانياتنا. ولكي نفتح على التراث العالمي لا بد من تصافر الجهود لوضع مخطط عربي شامل لترجمة امهات الكتب الأوروبية والأميركية والروسية إلى اللغة العربية، على أن نستعين بذلك بخبراء الترجمة من كبار المثقفين العرب الذين يملكون نواصي الفكر الغربي واللغات الغربية ويتقنون أيضاً أساليب التعبير العربي السليم، بالإضافة إلى تضلع كل منهم من الحقل الذي ينقل إلينا منجزاته. فقد آن الأوان لتنظيم عملية الترجمة

الترجمة عملية حضارية من الدرجة الأولى. فهو وسيلة من أهم وسائل الانفتاح على المعرفة الانسانية والحد من الأنغلاق والتفوق والفراغ والظلام الذي يكتنف حياتنا ويلف وجودنا منذ قرون وقرون... إنها أداة التطور المثلّي لأنها تعني الاتصال بالحضارات المختلفة والاطلاع على ما لديها من علوم وفنون وآداب ومكتسبات وانجازات، تم نقل المفيد منها إلى اللغة العربية لتكون غذاء للعقل والروح. فالاحتكاك بين اللغات هو احتكاك بين العقليات والحضارات وتبادل للأفكار والأدوات والمصطلحات الدالة عليها، لأن اللغات والثقافات والحضارات لا تثرى ولا تتطور إلا بالاحتكاك والتبادل وتلاقح الآراء والأفكار. وإن الخطر الذي يهدد لغتنا الحبيبة كبير ما لم نبادر إلى دفع غائلة الاستعجاء الذي بدأ يدب في أوصالها. فيجب تحصينها من الغزو الجديد. بل من الوباء القاتل الذي يترصص بها، وذلك بتفقدتها باستمرار للحفاظ على مقوماتها وبنيتها وعناصر وجودها،

(*) قسم الفلسفة، كلية الآداب، الجامعة اللبنانية - طرابلس.

التي قد غلب عليها في أكثر الأحيان طابع الاستعجال جريباً وراء التكسب واستغلال حاجة القارئ العربي إلى التزود من نتاج الفكر العالمي .

الترجمة علم، وعلم الترجمة علم حديث جداً نشأ في أوائل الستينات من هذا القرن . وتعد مؤلفات العالم الروسي فيدروف والعالمين الكنديين فيناي وداربلييه أول محاولات في هذا السبيل . ويمكن الرجوع إلى تفصيل ذلك في كتاب اللغوي الفرنسي الاستاذ موني وعنوانه (المشاكل النظرية للترجمة) غاليسمار . باريس 1963، حيث يبين المؤلف كيف انسلخ علم الترجمة عن غيره من العلوم الانسانية وأصبح علماً مستقلاً قائماً برأسه . كما أن العالم اللغوي الأميركي نيدا رئيس (جماعة الكتاب المقدس الأميركية) الذي أشرف على ترجمة هذا الكتاب إلى أكثر من (1200) لغة، قد وضع أربعة كتب في علم الترجمة من بين خمسين كتاباً هي - على حد علمنا - كل ما كتب في العالم بأسره عن هذا العلم⁽¹⁾ .

والحق، أن عملية الترجمة لم تؤخذ حتى الآن مأخذ الجد في مجتمعنا العربي المعاصر . فإذا ألقينا نظرة إلى الوراء على الترجمات التي ظهرت في القاهرة وبيروت خلال الخمسين سنة الأخيرة - وهما اللتان تقودان حركة الترجمة في الوقت الحاضر وإن انحسر دور القاهرة قليلاً الآن - وجدنا الشطر الأكبر منها ترجمات تجارية لا تشرف القائمين بها . إن جيلنا يتذكر كيف أغرقت أسواق الكتب بالقاهرة والعواصم العربية في الثلاثينات من هذا القرن بـ (روايات الجيب) فأصبح النشء العربي أعرف بأعمال أرسين لوبيين منه بأعمال فرويد ودارون وآينشتين .

والترجمة عملية أخلاقية قبل أن تكون عملية حضارية وثقافية، فضلاً عن أن تكون عملية تجارية . فالناقل يجب أن يتحلّى بالنزاهة والتجرد حتى لا يعيث بالنص بقصد أو غير قصد . الناقل مؤتمن، ولعله ههنا

أقرب إلى الطبيب الذي يُقسم يمين أبقرات قبل مزاوله المهنة . وللايطالين عبارة مشهورة في هذا الباب هي Traduttore traditore أي «المرجم خائن» . ولهذا فلا بد من مراجعة الترجمة . وهذا ما تفعله الدوائر العلمية المختصة، إذ تنيط بأحد الخبراء مراجعة الترجمة ومقارنتها بالنص الأصلي قبل الاقدام على اصدار الكتاب، ويجب أن تكون المراجعة حقيقية لا شكلية كما يجري في بلادنا حيث يكتفي الناشر في كثير من الحالات بوضع اسم المراجع ولقبه العلمي بجانب اسم المترجم لقاء مبلغ متفق عليه من المال وتنتهي الصفقة . . . أنا لا أفهم كيف يقبل المراجع وضع اسمه دون أن يراجع الكتاب . واذكر في هذه المناسبة ناشراً عرض عليّ في الستينات مراجعة ترجمة كتاب أفاق Panorama، فتصفحته قليلاً ثم رددته إليه لرداءة الترجمة إلى حد لا يُطاق، وقلت له يجب إعادة الترجمة من الأساس وإلا فلا يجوز نشر الكتاب بحال من الاحوال وأنا غير مستعد لترجمته من جديد . ومع ذلك فقد ظهر الكتاب بحلّة قشبية : طباعة أنيقة وورق أبيض صقيل وتجليد بالكروتون وعنوان بالألوان الزاهية يسر الناظرين . وهو ليس كتاباً صغير الحجم بل هو من القطع الكبير، حتى لقد أغراني - أن العارف بدخيلته - باقتنائه . إن مسؤولية ذلك لا تقع على دور النشر بقدر ما تقع على القارئ العربي الذي تلقف الكتاب بنهم شديد حتى لقد نفدت طبعته الأولى . ويفكر الناشر المحترم في اصدار طبعة أخرى، لولا ما قمت به من جهد لإقناعه بعدم إعادة طبعه . . . إنها مسؤولية مزدوجة تدل على الحاجة إلى القراءة واستغلال الناشر لهذه الحاجة أبشع استغلال . . .

الترجمة ليست مهمة سهلة، أنها مهمة من أصعب المهمات وأشدّها عسراً . وقليلاً ما يُشكر المترجم على عمله . فالقارئ لا يحس به بقدر احساسه بالمؤلف . وإذا أمتدح عندما ينجح في عمله فإنما هو امتداح تافه

شخصيته واعطاء الكلمة حقها الطبيعي، كل أولئك يجعل الترجمة عملية في غاية الصعوبة لا يُقدّم عليها إلا من كان على أتم الاستعداد للتضحية بوقته ونومه وعافيته.

ولا بد أن ننوه مع ذلك بالجهد الكبير الذي يبذله بعض المترجمين لإفراغ النص المترجم في قوالب عربية سليمة. فالمترجم الأريب والأديب يخلق الكلمة ولا يستهلكها، وبالتالي فهو مبدع على مستوى الكلمة كما هو مبدع على مستوى الفكرة. فالترجمة الصحيحة تسد فراغاً كبيراً، وبالتالي تقدم للفكر العربي خدمة جليلة، وهي خطوة ضرورية لا بد منها في المشروع الحضاري العربي للانتقال من طور الاقتباس والاستهلاك والتقليد إلى طور الخلق والانتاج والمشاركة المبدعة. فالترجمة الحقيقية مساهمة جادة مثمرة تعد بالكثير لا على المستوى الثقافي المحدود، بل على المستوى الخلقي والانتاجي والحضاري. وهذا في الحقيقة مطمح كل عربي يحمل في قلبه حباً للوطن الكبير.

لكن بقيت سمات اللغات الاصلية في ترجماتها تعوق الاستيعاب في أكثر الأحيان. فالترجمة تتطلب كفاءات ومؤهلات وطاقات متعددة كما ذكرنا، وهذا ما يجعل أكثر ترجماتها أدنى إلى الهراء والفسافس منها إلى الكتابة الجادة المثمرة التي تتحمل تبعات الحضارية والفكرية. أنها بصراحة ترجمات من النوع الذي يُنجل المترجم والقارئ معاً، فهي إما ترجمات حرفية كلمة كلمة، أو هي ترجمات معنى بغير استيعاب ودراية ومراجعة واستقصاء. وفي كلا الحالين إنها تحجب عن الكاتب وما يكتب، وتضلّل القارئ وتفسد الحس اللغوي والذوق الأدبي، ولا تؤدي الامانة التي أخذت على عاتقها تأديتها. لقد أساءت إلى المعنى والمبنى، فماذا بعد هذا البر والتشويه تبقى من الكتاب رحمه الله؟

لكن الويل له إذا اخطأ. إن صعوبات الترجمة لا يُحس بها إلا من عانها. وقد عانيتُها مرة فكانت الأولى والأخيرة. وذلك عندما أقدمت على ترجمة كتاب (الانسان) لجان روستان من اللغة الفرنسية. فقد عانيت فيه على صغر حجمه اضعاف ما أعاني في عملية التأليف. ولا أزال اعتقد أنني لم أحقق الغاية التي كنت أتوخاها. ففي التأليف سعة وفي الترجمة ضيق وحرَج. في التأليف أنا حر منطلق سيد موضوعي وعبارتي واكتب على سجيتي. أما في الترجمة فلني محكوم بنص يُقيدني ويثقل تحركي. ومهما كنت منسجماً مع النص فإنه يجثم فوق صدري ولا يتيح لي حرية الحركة. وكم بقيت الليالي الطوال أبحث في القواميس عن كلمة أو تعبير يكون أكثر أمانة للنص وأوفى بما يشتمل عليه من أفكار ودلالات وقوة بيانية ومحسنات لفظية. فإنه حتى عندما تتوافر في المترجم الأمانة، والدقة والتفاني في عمله ورسوخه في الموضوع المترجم واثقانه للغتين معاً: اللغة المنقول منها واللغة المنقول إليها... فإن كل أولئك لا يعدو أن يكون عنصراً واحداً فقط من عناصر الترجمة الناجحة. فنظراً إلى اختلاف هندسة الجملة من لغة إلى أخرى يضطر المترجم إلى التقديم والتأخير وإلى عمليات تنظيمية لتتناسق ترجمته مع النهج في اللغة المترجم إليها، فضلاً عما يصادفه المترجم من مشكلة جمال اللفظ وموسيقاه. فقد يؤثر المؤلف استعمال لفظة ما على أخرى في لغته الأصلية لا شيء إلا لأنها تتميز بجرسٍ معين أو لانسجامها مع ما سبقها أو لحقها من ألفاظ، مما يؤدي إلى الانسجام اللغوي الذي لا ينبو عن الاذواق ولا تمجّه الاسماع كأنه سيمفونية رائعة. إن استجلاء المترجم للمعالم الكبرى من النص ولأدق تفاصيله حتى تتراءى له في أحجامها الحقيقية وفي عناصرها الأساسية، وكشفه للأسس والمفاهيم التي ينطوي عليها في خبره ومظهره، وتجنبه للمزالق التقليدية في الترجمة، ومن ثم تحديد طريقته واستقلال

جريمة مستمرة تُرتكب كل يوم في حق اللغة العربية، الفاعل فيها مسؤول تاريخياً وحضارياً، والساکتُ عنها والقادرُ على وقفها شريك متواطئ أراد أم لم يرد. ان تقليد الغرب في كل شيء مرض من أمراض مجتمعا الذي فقد وعيه الحضاري، ويكاد الآن أن يفقد حسه اللغوي. فالمجتمع العربي اليوم يغير نهجه الأصيل في الحياة ليستعير غيره، وها هو يستعير حتى أدوات التعبير من مجتمع آخر. والمسؤول عن ذلك مراسلو الصحف ووكالات الأنباء ثم اتسع الخرق حتى شمل جميع رجال الاعلام، وسرت العدوى بعد ذلك إلى سائر حملة الأقلام، بل وإلى اللغويين منهم.. أجل، إن لغة الصحف مسؤولة مسؤولية مباشرة عن تشويه اللغة العربية، ومنها انطلقت أساليب هجينة مستقبحة، قد أصبحت على كل لسان. إن لغتنا المكتوبة اليوم هي لغة الصحف، وهي لغة أقل ما يقال فيها أنها لا تتصف بسلامة المبنى والمعنى، وقد تجاوزت في طرائقها المشهور الرقراق الأنيق من أساليب العربية وقواعدها صرفاً ونحواً. ونظراً إلى نفوذ هذه اللغة واعتاد جميع وسائل الاعلام على الصحف والمراسلين الصحفيين ووكالات الأنباء العالمية فقد غزت اللغة العربية في عقر دارها، حتى لقد زعزعت الكثير من اسسها. فالمرجع الصحفي في عجلة من أمره. إن رائده السبق الصحفي، وفي سبيل ذلك يضحي بكل شيء. فالخبر أهم من اللغة. هذه بديهية من بديهيات العمل الصحفي. يجب نقل الخبر بأسرع وقت ممكن. تكفي الترجمة القاموسية. المهم إعطاء المعنى وإيصاله بسرعة إلى القراء وعلى أي وجه اتفق، دون نظر إلى متانة الأسلوب وقوة التعبير... وهكذا فرضت على العربية المعاصرة أساليب وأفحمت فيها استعمالات بعضها مشكور ومحمود يقتضيه تطور اللغة، كما حصل في العصر العباسي، لكن أكثرها سقيم مستقبح أخذ يتردد على كل لسان. حتى أن محرري الصفحة

للغوية في مجلة خليجية واسعة الانتشار لم يشيروا بكلمة واحدة إلى هذه الاستعمالات الشائعة رغم اهتمامهم الكبير بتصحيح الكثير مما هو ملحون ومستهجن. فإن أكثر مقالاتهم في هذه الصفحة روتيني عرفنا فحواء ونحن صبية شدة على مقاعد الدراسة نستمع باهتمام صادق أو كاذب إلى استاذ اللغة العربية يصل ويحول ويتوعد كل مقصر في حق اللغة عاقٍ لها ناكث بعهداها. وقد أورثني رحمه الله الشغف بلغة الضاد والغيرة عليها والذود عن حياضها. والغريب أن محرري الصفحة اللغوية في المجلة المذكورة جرفهم الطوفان فيمن جرف. فهم أيضاً لم يسلّموا من رطانة لغة الاعلام. أليسوا هم أيضاً محررين في أجهزة الإعلام؟ فليكن لهم نصيبهم الوافر من رطانة رجال الإعلام.

والخلاصة، لقد افسدت الترجمة الاعلامية لغتنا الحبيبة. وليت ذلك يقف عند هذا الحد، إذن لكان الأمر محتملاً ولو على مريض. لكن الأنكى منه عدم فهم المترجم للكتاب الذي يدّعي ترجمته. صفحات بكاملها اقروها فلا أفهم شيئاً. أنا أرثي للقارئ الذي أبلى بقراءة كتب من هذا القبيل، فيصاب باليأس ويفقد ثقته بنفسه لأنه لا يفهم شيئاً ويظن أن عجزه عن فهم ما يقرأ إنما يرجع إليه هو لا إلى المترجم الذي كفاه القاموس مؤونة الفهم ثم جاء التجليد الفاخر والورق الأنيق فتولى الباقي. انه يتهم نفسه بالقصور والجهل والعجز عن الارتفاع إلى مستوى الكتاب. بل يتخذ من صعوبة فهمه للكتاب دليلاً على عمق هذا الكتاب. وربما كان من الأسهل على القارئ في هذه الحال أن يتعلم الفرنسية أو الانكليزية أو... وقرأ الكتاب بلغته الأصلية من أن يقرأ مترجماً إلى العربية. فالمسكين لا يخطر له أبداً ولا يطوف في خياله أن المترجم قبله لم يفهم، «فأُنجب» جيلاً كاملاً من القراء لا يفهم. فهل يمكن لدار النشر أن تكل الترجمة لرجل لا يفهم؟ هذا مستحيل.

والأغرب من ذلك أن المترجم يستر جهله بين الحين والآخر باستعمال كلمات عجيبة لم يستقر لها معنى في اللغة العربية بعد، دون أن يتفضل بشرحها: تاريخي، تاريخوي، تاريخاني، ذاتي، ذاتوي ذاتاني، تذويت، نظرية نظروية نظرائية، كما لا يشرح بعض المصطلحات الأخرى، بل يثبتها في النص كما هي بلغتها الأجنبية: الأتيقية، الاستيتيكية، الترئسندنتالية... فهل تُراه لا يفهم هذه المصطلحات أيضاً أم يريد بها التكايس والتفاخر على الأقران فتركها شوكة في حلق كل قارئ يكذُ ذهنه لحل طلاسم الكتاب؟ أنا لا أريد التشهير بأحد هنا، حسبي أن استشهد ببعض النصوص دون ذكر أصحابها، ولا أذيع سراً إذا قلت أن بينهم أسماء كبيرة.

لقد مُسخت كتب كثيرة بهذه الترجمات السوقية القاموسية. إن أصحاب هذه الترجمات لا هم لهم إلا أن يفرغوا من الكتاب كيفما اتفق وبأسرع وقت ممكن ويذهبوا إلى دار النشر ليتسلموا كتاباً آخر بعد أن يقبضوا - وهذا بيت القصيد - ما تيسر من مال حرام ساقته الظروف إليهم. ومما يزيد الطين بلة أن المراجعين للترجمة هم في كثير من الأحيان من طبقة المترجمين بل دونهم أحياناً، وأكبر شاهد على ذلك أننا لا نجد أي أثر لمراجعتهم «الشمينة». بل لقد نُمي إليّ أن هناك من المراجعين من لا وجود لهم إلا في خيال الناشر. حسب هذا الأخير أن يخترع اسماً ويضيف إليه لقب دكتور وينتهي كل شيء. الناشر تاجر، والمترجم تاجر، والمراجع تاجر. أما القارئ المسكين - وهو المقصود بالكتاب - فلا يدري مما يحاك له شيئاً. كل هذه الصفقات إنما تُعقد باسمه، ثم يأتي ليضع توقيعاً على العقد ويشتري الكتاب.

من هذه الترجمات التافهة الرخيصة، قد لا أقرأ - إذا نكبت بقراءة أحداها لضرورة - أكثر من صفحة أو

صفحتين في الساعة، لأنني لا أفهم ما أقرأ. وهناك فجوات في النص المترجم غير موجودة في الأصل بطبيعة الحال، وهي ترجع دون أدنى شك إلى رداءة الترجمة وسوء فهم صاحبها للنص الذي يترجمه. وقد أُلقي بالكتاب جانباً وألْعن الترجمة والمترجمين والناس أجمعين. لكنني في بعض الأحيان عندما يكون للنص أهمية خاصة في نظري فلنأني أحاول إعادة تكوينه من جديد بلغته الأصلية في محاولة لتفهمه بقدر الإمكان. واعترف على رؤوس الأشهاد أن التوفيق لم يحالفني إلا في بعض الحالات القليلة النادرة. فقد وجدت مرة في أحد الكتب المترجمة هذا التعبير: «فئات الوجود». فلم أفهم شيئاً لأن أجواء النص لا تسمح أبداً بالاكتهاف بالمعنى اللغوي للكلمة. فلا بد من أن يكون المراد بها معنى اصطلاحياً، وهذا ما اكتشفته بالفعل بعد طول دأب. فبعد مداورات كثيرة، وقراءة الجملة وإعادة قراءتها مثنى وثلاث ورباع، استنتجت - وقد تصعب مني العرق غزيراً وبلغ بي الجهد مبلغاً كبيراً - أن هذا التعبير إنما هو ترجمة قاموسية للأصل الفرنسي Catégories de l'être لقد استقام النص الآن واتضح كل شيء فيه. إن مترجم هذا الكتاب كان في حينه مشرفاً على دار الإذاعة في أحد البلاد العربية، وهو يجيد الفرنسية دون أن تكون لديه أي ثقافة فلسفية مع أنه يترجم كتاباً في الفلسفة. وهالك مترجماً آخر ليس رجلاً سطحيّاً من أجهزة الإعلام كمنذعنا المذكور حفظه الله، وإنما هو استاذ كبير ودكتور في إحدى الجامعات في بيروت، ولكنه يشترك مع المذيع في أنه ليست لديه أيضاً أي ثقافة فلسفية وإنما هو استاذ للتاريخ. فعندما قرأت أحد كتبه المترجمة وجدت هذه العبارة «العقل الكافي» فلم أفهم شيئاً. فحاولت كعادتي إعادة تكوين النص في أصله الأجنبي. وبعد صعوبات كبيرة مرهقة اكتشفت أن هذا التعبير هو أيضاً ترجمة قاموسية للأصل الفرنسي raison suffisante إذ لم يخطر للمترجم على بال بأن

كلمة *raison* لا يقتصر معناها على «العقل» بل من معانيها أيضاً - سواء، بالفرنسية أو الانكليزية - السبب أو العلة. فالمقصود هنا العلة الكافية وبها يستقيم المعنى. ولما لم يكن لصاحبنا ثقافة فلسفية، وإذا كان يربأ بنفسه أن يسأل أحد زملائه في قسم الفلسفة عن معنى النص اكتفى بالترجمة القاموسية وعلى الله الاتكال.

حتى اسماء الكتب تغير بعضها بفعل الترجمة. فقد كُتب في مجلة (العربي) منذ سنوات مقال عن ابن الهيثم ادعى صاحبه انه قد رجع في كتابته إلى أصول عربية. ولكن حبل الكذب قصير كما يقولون. فالمقال مسروق ومترجم إلى اللغة العربية. فالكتاب المحترم الذي يبدو أنه لا يعرف شيئاً عن ابن الهيثم زلّ به القلم فنسب إلى هذا الأخير تأليف كتاب (المناظر) نعم (المناظر) فلا خطأ في الطبع لأن هذه الكلمة تكررت مرات كثيرة في المقال. مع أن أي طالب في صف البكالوريا (القسم الثاني) في لبنان على الأقل يعرف أن اسم الكتاب الحقيقي هو كتاب (المناظر) ولكن لما كانت كلمتا (مناظر) و(مناظر) تُكتبان كتابة واحدة بالفرنسية (Manazir) فقد عرّبها صاحبنا (مناظر). ولو أن الأصل الفرنسي الذي نقل عنه اثبت اسم الكتاب هكذا Manazer فلعل كاتبنا - ومن يدري؟ - يُثبته هكذا (منازه) بناء على أن حرف الراء الأخير لا يُلفظ في الفرنسية إذا كان صاحبنا ينقل عن الفرنسية. وهذا ما يفسر لنا الاخطاء الأخرى التي وردت في المقال المذكور. وقد تكرر الخطأ نفسه مرة أخرى في مجلة (الثقافة العالمية) الكويتية (انظر العدد 32 صفحة 28).

لنعد الآن إلى المترجمين الصحفيين والترجمة الصحفية. فقد حملتهم العجلة على التزام الترجمة الحرفية بلا مرونة ولا تصرف ولا مراعاة لعمود اللغة وبُنياتها الداخلية وخصائصها الاسلوبية والتعبيرية،

فعطّلوا المفعول المطلق والمفعول به الثاني والمفعول لأجله والحال والتمييز... وكلها مما يُضفي الجمال والروعة على اللغة العربية، ويلمسها بطابع سحري تفتقده اللغات الأوروبية التي تلتزم تعبيراً واحداً لا تتخطاه كما سنرى بعد قليل، وهذا التعبير يربس المترجمون الصحفيون فرضه على أساليبنا حتى لقد بدأت تتلثم بضربات معاولهم. فدخلت الرطانة والهجانة واللحن، وفسدت الأذواق والاسماع والاقلام والاحاسيس دون أن يظهر من لغويننا الغياري كلمة احتجاج أو تصحيح، باستثناء ما ألفوه في الكتب القديمة، من تشذيبات واستدراكات وفذلكات وطرائف... بل يبدو أن الرطانة الجديدة قد سرت في أضلعهم. ولقد كتبت في ذلك مقالاً قصيراً في مجلة (اللسان العربي) التي تصدر عن المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي، التابع لجامعة الدول العربية في الرباط، بعنوان (تشويبات في اللغة العربية أحدثتها الترجمة)⁽²⁾. ولكن أحداً لا يريد أن يسمع، فقد طم الماء الوادي فعلى من تقرأ مزاميرك يا داود؟ ولذلك أراني مضطراً - رغم قلة حيلتي وضعف أمري - إلى تجديد الدعوة مرة أخرى بتوسع أكرر وشواهد أكثر على صفحات هذه المجلة التي أأمل أن تحقق ما عجزت عن تحقيقه مجلة (اللسان العربي) ذات الاعداد المحدودة والنطاق الضيق.

رطانات جديدة لا عهد للعربية بها بدأت تظهر على المسرح وتغزو جميع الألسنة، وهذه الرطانات ليس لها من العربية إلا الألفاظ والحروف ولكنها أفرنجية الدم والروح. ومع ذلك فإني اعترف أن هذه الرطانات قليلاً ما تصدر عن كاتب كبير، وإنما هي في الأغلب والأعم من لوثات صغار الكتاب والمترجمين الصحفيين. فلم أجد في كتابات العقاد وطه حسين مثلاً أثراً لهذه الرطانات رغم انها ولا سيما الأخير قد اغنيا الأسلوب العربي بالأساليب الجديدة التي تقتضيها عملية تطوير اللغة دون أن يضحيا بعقريتها

وأصالتها، وهذا مما يذكرنا بالعصر العباسي الذي تطورت فيه العربية من لغة النخل والسيف والبعير إلى لغة العلم والفلسفة والحضارة. وإليكم الآن أمثلة وغماذج من هذه الرطانات

رطانة ضد :

التعبير السقيم

اتهام العرب ضد اسرائيل
الهجوم ضد العقلانية أو شنّ هجوماً ضد . . .
التأمين ضد المرض أو الخطر أو الموت
استند ضد الحائط
عنده حساسية ضد الاسبرين
اعطاه مبلغاً من المال ضد ايصال

لقاح ضد شلل الاطفال
المعارضة الرجعية ضد الثورة الفرنسية
الحماية البلاد ضد العدوان
الردع ضد أي عدوان
فرض العقوبات ضد الجماهيرية الليبية
تعصب ضده

انزال أشد العقوبات ضدهم
جرائم ترتكب ضد الاخلاق
اتخذ موقفاً ضد كذا

اتخذ ضده اجراءات رادعة، صارمة
عملية اغتيال ضد الوسيط الدولي
الكفاح ضد الاستعمار، الجريمة
الصراع ضد الاستعمار

يطالبون بإجراءات فعالة ضد موجة الغلاء
أدفع ضد هذا الشيك مبلغ كذا

انتهاك السلطات الاسرائيلية ضد المسجد الاقصى
العلم في معركته ضد المرض
المعارضة المتعاطمة ضد الطغيان

التعبير السليم

اتهام العرب لاسرائيل
الهجوم على العقلانية أو شنّ هجوماً على العقلانية
التأمين من المرض أو الخطر أو الموت
استند إلى الحائط
عنده حساسية للاسبرين
اعطاه . . . واخذ منه اقراراً أو صكاً بالقبض أو الاستلام

لقاح لمكافحة شلل الاطفال
المعارضة . . . للثورة الفرنسية
الحماية البلاد من العدوان
ردع أي عدوان
فرض العقوبات على الجماهيرية . . .
تعصب عليه

انزال أشد العقوبات بهم
جرائم ترتكب في حق الاخلاق
اتخذ موقفاً مناوئاً لكذا

اتخذ في حقه اجراءات
عملية . . . للوسيط الدولي
مكافحة الاستعمار، الجريمة
الصراع لمواجهة (أو للقضاء) على الاستعمار

يطالبون . . . للحد من موجة الغلاء
أدفع لقاء هذا الصك مبلغ كذا
انتهاك . . . للمسجد الأقصى
العلم في معركته مع المرض أو لمكافحة المرض
المعارضة المتعاطمة للطغيان

الرد المباشر ضد فلسفة التنوير
الكراهية العمياء ضد العرب
التمييز ضد السود، ضد المرأة
التقصير ضد الاسلام
الحكم الذي أصدرته المحكمة ضد فلان
أمريكا تفكر في القيام بعمليات عسكرية ضد ليبيا
احتاط ضد كل الاخطار
المواجهة ضد النظام القائم
حامت ضده الشبهات
المناعة ضد المرض، منيع ضد المرض
الدفاع ضد الظلم
الاحتجاج ضد الغبن
الحرب ضد، القتال ضد، الحملة ضد العدو
قاتلوا حاربوا ضدهم
الشكوى ضد المعاملة السيئة
الاضراب ضد الظلم
وكان ذلك أقوى دفاع ضد مسيرة العلم
الجهاد ضد النفس
كان من أهل السنة ضداً على المعتزلة (استعمال مغربي عجيب)
يوجهون تفتياتهم ضد المرض
وقف موقف العداء ضد المرأة
التخريب ضد المصالح الامريكية في المنطقة
حذر عدد من الكتاب ضد المبالغة في الامصال
الواقعية ضد الامراض المعدية
ضد دوهرنغ

الرد المباشر على فلسفة التنوير
الكراهية العمياء للعرب
الأجحاف بالسود، بالمرأة، الحيف عليهما
التقصير في حق الاسلام
الحكم... على فلان أو في حق فلان
أمريكا تفكر... لضرب ليبيا
احتاط من جميع الاخطار
مواجهة النظام القائم
حامت حوله الشبهات
المناعة على المرض، منيع على الارض
دفع الظلم أو مدافعة الظلم أو مقاومة الظلم
الاجتماع على الغبن
محاربة، مقاتلة، الحملة على العدو
قاتلوه حاربوه
الشكوى من المعاملة السيئة
الاضراب لمواجهة الظلم
لم أفهم شيئاً
جهاد (أو مجاهدة) النفس
كان سنياً معارضاً للمعتزلة
يوجهون... لمكافحة المرض
وقفت موقف العداء للمرأة أو موقفاً معادياً للمرأة
تخريب المصالح الامريكية
حذر... من المبالغة في الامصال الواقية من
الأمراض المعدية
الرد على دوهرنغ

والانكليزية... ولكنه متعدد في العربية ففي العربية
عدة مصادر من جذر واحد ذات معان مختلفة: قتل،
قتال، اقتتال، مقاتلة، تقتيل. هجوم، مهاجمة،
تهجم. نضال مناضلة... فمن الممكن الإفادة من
هذه المصادر الفريدة في تعابيرنا والتخلص نهائياً من
هذه «الضد» السقيمة. فلم التضييق وفي المصادر

لقد لاحظنا في جميع هذه الحالات أن حرف الجر
«على» يفيد معنى «ضد»، وعكسه حرف الجر
«اللام»: فيقال اللهم كن لنا ولا تكن علينا. تعصّب
له تعصّب عليه، كما لاحظنا أن مصدر المشاركة قد
يغني في بعض الأحيان عن كلمة (ضد): مقاتلة،
مكافحة، محاربة.. أن المصدر واحد فقط في الفرنسية

متواضعاً لآبأس به اطرُحه للمناقشة والحوار. فأننا ميداني الفكر لفلسفي بعامه والفكر العربي بخاصة. وأما اللغة ومباحثها فلا أحب الدخول في متاهاتها حيث أشعر بالخرج والدوار.

رطانة كاف التشبيه: هذه الرطانة عطلت خبر كان وصيغة الحال والتمييز والمفعول لأجله والمفعول به، وأن كان الخطب فيها أقل من رطانة (ضد) ومن الممكن تخريج بعض استعالاتها القليلة:

الاستعمال السليم

قَدِّم... دليلاً على براءته
تحليل مفهوم المجتمع تمهيداً
بحيث تكون أحد الروافد
فإذا نظرنا إليه عالمًا
وذلك... أفراداً وجماعات
ونتيجة لذلك، وخلاصة لما سبق
عمل جندياً، محرراً، موظفاً
تعيينه رئيساً
يُدْرُسونه فيلسوفاً
متخذاً هذه... نقطة بداية
السوسيولوجيا - علماً مستقلاً - ...
بما هو علم أو من حيث هو علم قائم بذاته
اخترناه طريقة للنضال
البحث فيه فيلسوفاً، عالماً أو من حيث هو فيلسوف،
عالم
بدأت الهجرة... طموحاً وتطلعاً
وكل ذلك سيؤثر في... تطلعاً وطموحاً ورغبةً في
المشاركة
ارتبط بالرأسمالية فكراً وسلوكاً ونشاطاً
يصلح نموذجاً

سعة يمكننا بكل سهولة، اختيار ما يناسب المقام منها؟ مَنْ شَدَّدَ شَدَّدَ عليه. فما شادَّ هذه اللغة أحد إلا غلبته. لِمَ الاقتصادُ إذن على مصدر واحد فقط والاصرار على استعمال كلمة (ضد) معه؟ أنا لست لغوياً محترفاً، ولم اكتب يوماً أي موضوع في اللغة، باستثناء المقال الذي ذكرته منذ قليل وهذا توسيع له. ولكنها بقية من حس لغوي أحافظ عليها، وأدُّنُ تُخَدِّشُ كلما سمعت نشازاً. ومع أن ذلك لا يكفي في عصر الاختصاص والتوثيق والإسناد فإنه يقدم اسهاماً

الاستعمال السقيم

قَدِّم كذا للمحكمة كدليل على براءته
تحليل مفهوم المجتمع كتهميد
بحيث تكون الثقافة العربية كواحد من الروافد
فإذا نظرنا إليه كعالم
وذلك كان السبب في انهيار العرب كأفراد وجماعات
وكنتيجة لذلك، وكخلاصة لما سبق
عمل كجندي، كمحرر، كموظف
تعيينه كرئيس
يُدْرُسونه كفيلسوف
متخذاً هذه التناقضات كنقطة بداية
السوسيولوجيا كعلم مستقل
كعلم مستقل بذاته بوصفه علماً قائماً بذاته
اخترناه كطريقة للنضال
البحث فيه كفيلسوف، كعالم
بدأت الهجرة إلى الدول النفطية كطموح وكتطلع
وكل ذلك سيؤثر على الشخصية كتطلع وكطموح
وكرغبة في المشاركة
ارتبط بالرأسمالية كفكر وسلوك ونشاط
يصلح كنموذج

ادخلها في العملية كعناصر ضرورية

اعتمد نظرية التطور كمذهب وفلسفة
التعامل معهم كمقهورين
تفجر الماء من الأرض كعيون متدفقة
الطبقات التي كانت لها السيطرة على النفط
كفكر وكموقف وتنفيذ

ان النمو المتأخر للرأسمالية كان له كنتيجة
ان خطأ هذه الفلسفة انها لم تبدأ كفلسفة كلية صورية
خدموا كناقلين لللايديولوجية الحزبية
خدموا كرجال علم حقيقيين
ازدادت سيطرة البرجوازية كفكر وكموقف
الغزالي ينكر الاتحاد والحلول كطريق إلى الأمان
الفلسفة كعلم للوجود

ادخلها في العملية عناصر ضرورية أو لتكون عناصر
ضرورية

اعتمد... مذهباً وفلسفة
معاملتهم معاملة المقهورين
تفجرت الأرض عيوناً متدفقة
الطبقات... فكراً وموقفاً وتنفيذاً

ان النمو... كان من نتيجته
ان خطأ... فلسفة كلية صورية
كانوا ناقلين أو نقلوا
سلوكوا سلوك رجال العلم الحقيقيين
ازدادت... فكراً أو موقفاً
الغزالي... طريقاً إلى الأمان
الفلسفة علماً للوجود أو بما هي علم للوجود
أو من حيث هي علم للوجود

رطانة «بشكل»، «بصورة»، «بصفة»، «بطريقة»، «بكيفية»: لقد عطلت هذه الرطانة المفعول المطلق والحال
والجار والمجرور:

الصيغة السقيمة

استعملها بشكل حسن
استعمله بصورة سليمة ودائمة
استعمله بشكل غير لائق

مشى بصورة سريعة
دخل البلاد بصورة سريعة
تلكم بطريقة متزنة
عالم غير مستقر تتغير فيه الموازين بكيفية سريعة

الصيغة السليمة

استعملها استعمالاً حسناً
استعمله استعمالاً سليماً مستمراً أو دائماً
استعمله استعمالاً غير لائق أو بلا لياقة أو استعمالاً
فجاً

مشى بسرعة أو سريعاً
دخل البلاد سراً
تلكم كلاماً متزاناً وباتزان
عالم تتغير فيه... بسرعة

رطانة يُشكّل، يُمثّل: لقد عطلت هذه الرطانة المبتدأ والخبر وكان الناقصة. فلا تشكيل ولا تمثيل في الأمر
هنا بل الأمر موضوع أو مسند ومسند إليه.

التعبير السقيم

يُشكل خطراً على السلام، الصحة
يشكل ضرراً ضد المرأة
يشكل منفذاً إلى
فما ضاع من كتبه قليل لا يشكل أدنى قيمة
وهكذا فإن... لا يشكل مجرد تعبير عن
وهو يشكل عنصراً هاماً في
وهذا يمثل أو يشكل جزءاً هاماً من
يمثل تهديداً للسلم أو ضد السلم

رطانات متفرقة :

التعبير السقيم

أما فيما يتصل بمحاولاتهم
أما عن الوظائف والاعمال التي
حتى لا أقول
ليس هذا فحسب
ستؤدي بالنسبة لمنفذها إلى نهاية مفاجئة
وهذه المواقف تتمثل في
أقبلت جموع وجنود وحراس هولوكو
أنه كبير إلى درجة، إلى حد أن
إلى حد كبير

هذه مسألة معروفة إلى حد كبير
عقب انسحابه من مؤتمر القمة الأفريقي قال القذافي
بوصوله إلى البيت قال الأب لبنيه
في كتابه كذا يذكر المؤلف كذا
تعرب أمريكا عن رضاها بإزاء إسرائيل
أعرب عن ارتياحه بإزاء هذا التصرف
إن منظمة التحرير، تقول إسرائيل، منظمة إرهابية
واعتقد، أضاف الرئيس الحص، أن
هل الوضع غاية في ذاته، يتساءل ماركيز

التعبير السليم

فيه خطر على السلام، على الصحة
فيه ضرر على المرأة وهو ضار للمرأة
هو منفذ إلى
فما ضاع... قليل ليس له أي قيمة
فإن... ليس، مجرد تعبير عن
وهو عنصر هام في
وهو جزء هام من
وهو تهديد للسلم أو فيه تهديد للسلم

التعبير السليم

أما محاولاتهم
أما الوظائف والاعمال التي
إذا لم أقل
ولا يقتصر الأمر على هذا
ستؤدي بمنفذها إلى...
وهذه... تتجلى، تبرز، تظهر في
أقبلت جموع هولوكو وحراسه وجنوده
أنه من الكبير بحيث
كبير جداً، وإلى مدى بعيد. فالحد لا يكبر ولا يصغر
بل يضيق ويتسع.
هذه مسألة معروفة معرفة جيدة
قال القذافي عقب انسحابه من...
قال الأب لبنيه عندما وصل إلى البيت
يذكر المؤلف كذا في كتابه كذا
تعرب... عن رضاها عن إسرائيل
أعرب... لهذا التصرف
تقول إسرائيل: إن منظمة...
وأضاف الرئيس الحص: اعتقد أن
ويتساءل ماركيز: هل الوضع...

السوسولوجيا بوصفها علماً مستقلاً . . .

السوسولوجيا بما هي أو من حيث هي علم مستقل
فلا وصف هنا ولا نعت

الوجود لم يكن موجوداً في حال الإمكان
جاء قبل أخيه بثلاث ساعات
لم يكتف بعدم الحضور بل منع
يفعلون للوصول إلى
عده عنصراً . . .

أني أرى، اعتقد أن هذا الكتاب
نفر من الموت والموت حق
الالمانياوان
الاميريكاوان

لم تكن نتيجة ذلك مقتصرة على أنه اخفق في
مسعاه بل لقد أصيب بالمرض أيضاً
وهذا لا يكشف فقط عن عيوبه بل هو يكشف أيضاً
عن
دون أن يقدم موافقة سلفاً

الوجود لم يكن موجوداً في عقل الله بوصفه مكاناً
جاء ثلاث ساعات قبل أخيه
انه ليس فقط لم يحضر، بل منع رفاقه من الحضور
يفعلون ذلك بهدف الوصول إلى
اعتبره عنصراً أساسياً في حياته
أني اعتبر أن هذا الكتاب غير صالح للقراءة
نُفِرَ من الموت مع أن (رغم أن) الموت حق
الالمانيتان (مثنى المانيا)
الأميركيتان (مثنى أميركا)
كان من نتيجة ذلك ليس فقط إنه فشل، بل أيضاً
مرض
وهذا يكشف ليس فقط عن عيوبه بل وعن
بدون موافقة مسبقة

من اللغات الأوروبية يلحق الاسم سواء كان
نكرة او معرفة The man who, a man
who-l'homme qui, un homme qui
العربية فلا يلحق الاسم الموصول إلا الاسم المعروف
«الإنسان الذي فعل كذا وكذا» ولا يقال «إنسان
الذي فعل» لكن مترجمينا رعاهم الله، والاعلاميين
منهم على وجه الخصوص يخرقون هذه القاعدة بلا أي
تخرج. انظر إلى هذا النص المترجم السقيم: «وبعض
حكاياتها منقولة من أقوام أفريقية الذين تدور
حكاياتهم حول...» فالاسم (أقوام) هنا اسم نكرة
وبالتالي فلا يلحقه الاسم الموصول (الذين) ولكن
مترجمنا العزيز رآها في الاصل فأثبتها في الترجمة
«أمانة» للنص وحرصاً على الدقة فيه. والخطأ الآخر
المترجم في هذا النص استعمال كلمة «تدور حول»
والأصح «تدور على». وهناك أيضاً نصاً سقيماً آخر:

إن كل هذه الاستعمالات غريبة ملحونة سببها
الترجمة. فإن بناء الجملة فيها على هذه الصفحة
الأعجمية شيء لا نعرفه في عربيتنا السليمة، فالذين
درجوا على هذا الدخيل الأعوج إنما ينظرون إلى لسان
آخر هو تارة الفرنسية وتارة الانكليزية... يستوحونها
ويقلدونها وينقلون عنها كلمة كلمة وحرفاً حرفاً.
إن أصحاب هذه الترجمات القاموسية يحملون
الضيم إلى عربيتنا المعاصرة. حسبهم أن يثبتوا الكلمة
كما وجدوها في القانون. فكلمة considérer comme
مثلاً تترجم دائماً «اعتبر كـ» وكلمة Constituer تترجم
«يشكل» وكذلك كلمة contre تترجم بكلمة «ضد».
وكفى الله المؤمنين القتال. ولا أهمية بعد ذلك لما إذا
كان التعبير المترجم يبقى سليماً أو لا يبقى بعد هذا
الالتزام الحرفي بالنص.
إن اسم الموصول في الانكليزية والفرنسية وغيرهما

الاستعمار» و«بشكل سري» والتأمين ضد حوادث الطرق، «ضد ايصال»... الخ. حتى لقد اصبحنا لا نحس بأي حرج، كأننا في غرفة مقفلة تنبعث منها روائح ننته تزكم الأنوف لكن لا يحس خبث هذا التنت ويدرك خطرة إلا طبيب في داخل الغرفة أو قادم من خارج فتح الباب فارتد مزكوماً.

وفي اخطاء الترجمة أيضاً جمع المصدر. والحق أن هذه المسألة دقيقة جداً في اللغة العربية وهي غير مطروحة، بل غير قابلة للطرح في اللغات الأوروبية فهذه اللغات تفرق بين المصدر والاسم.

فهناك مثلاً *défendre* و*défense* بالفرنسية و*defend* و*defense* بالانكليزية، فالجمع في هذه اللغات هو جمع للاسم لا للمصدر. وأما العربية فلا تعرف هذه التفرقة بين الاسم والمصدر في أمثال هذه الحالات. فكلمة (دفاع) العربية تفيد المصدرية كما تفيد الاسمية، والجمع هنا مسألة تخضع للسماح أولاً ثم للحس اللغوي ثانياً. فأنما مثلاً لا استسيغ أبداً الجمع (دفاعات) و(نجاحات) و(هجمات) وإن كنت لا أجد بأساً في جمع صراع على (صراعات) و(لقاء) على (لقاءات) و(تطلع) على (تطلعات). فأما كلمة (دفاع) فلاي افضل جمعها بكلمة (وسائل الدفاع) أو (أعمال الدفاع)، وأما كلمة (نجاح) فلاي افضل، استعمالها مفردة وإضافة صفة إليها تغني عن الجمع، كأن أقول نجح نجاحاً باهراً أو فائقاً أو خارقاً. كما أن كلمة (هجمات) تغني عن كلمة (هجمات). والمسألة هنا متروكة على كل حال لذوق الكاتب وحسه المراهف، أما إذا كان عديم الذوق أو الحس فهذه مسألة أخرى. ثم إن المصادر التي تستعمل استعمال الاسماء، بعضها عرفت له جموع (مناقشة مناقشات، محاورات محاورات مطمح مطامح)، وبعضها لم تُعرف له جموع (نقاش، حوار، طموح). فلا معنى في نظري للعدول عن الجمع (مناقشات، محاورات،

إن آخر ست جرائم التي راح ضحيتها نساء شريفات» فقد كان ينبغي على المترجم لأفص فوه وقلّمه إما شطب الاسم الموصول المؤنث (التي) أو تعريف «ست جرائم» إذا كان حريصاً على هذا الاسم الموصول بجعل الترجمة هكذا: «الجرائم الست الأخيرة التي...». ألا قليلاً من الذوق يا هؤلاء...

لا ترجمة أرك من ترجمة (الكتاب المقدس) ومع ذلك فإنك لا تجد فيه هذه الرطانات. إنك لا تجد فيه مثلاً «حي غضب الرب ضد الشيطان» أو «خدموا ككهنة في الهيكل» أو «جاء بطرس ثلاث ساعات قبل يوحنا» أو «سرقوا الرب من القبر بشكل لثيم»... فمترجمو المهددين القديم والجديد قاموا بترجماتهم قبل الطوفان الاعلامي. ولذلك تجاوزوا هذه الرطانات وأعطوها صبغة عربية أو شبه عربية لابس بها تكفي المتعبد البسطاء. فلا فرق عند المتعبد بين «حي غضب الرب» على قبح الترجمة أو «اشتد غضب الرب» وهي الترجمة الانيقة الجميلة.

وكذلك فعل النقلة العرب في العصر العباسي. إن التعابير «ضد» و«يُشكل» و«يمثل» و«كاف التشبيه» و«بصورة»... قديمة في اللغات الأوروبية، وليست شيئاً طارئاً عليها. انها ترقى إلى اللاتينية واليونانية. بل أننا لنجدها أيضاً في الفارسية، والتركية. ومع ذلك فقد تحطّاه النقلة العرب وترجموها بلسان عربي مبين. فحنين بن اسحق وقسطا بن لوقا وبنوبختيشوع لم يكونوا عرباً أقحاحاً، ومع ذلك فقد مجّت أذواقهم أن يراطنوا العرب بالترجمة الحرفية لهذه التعابير المستقيمة. لقد عرّهم الفتح وصقل السنتم صقلاً أين منه ألسنتنا التي نشأت على العربية وورثتها كائناً عن كائناً. وبدلاً من أن نعتصم بلغتنا ونتمسك بأساليبنا فقد جرفنا الطوفان واقحمنا الرطانة في تعابيرنا، فأصبح الصغير والكبير والعام والخاص يقول «هذا يُشكل خطر على صحي» و«النضال ضد

العاديين - في ترجمته وهو مصطلح néoplatonisme إذ يترجمه الكثيرون بكلمة (الافلاطونية الحديثة) فالصفة (حديثة) لا يجوز أبداً أن تُطلق على الافلاطونية، لا لغة ولا اصطلاحاً. فالحديث في اللغة هو العصري. وبهذا المعنى فالافلاطونية ليست حديثة. والحديث في الاصطلاح الفلسفي يطلق على العصر الذي بدأه ديكارت أبو الفلسفة الحديثة. والفلسفة الحديثة هي فلسفة القرن السادس عشر والقرون التالية حتى الوقت الحاضر. فالترجمة الصحيحة لكلمة néoplatonisme هي الافلاطونية الجديدة، أي فلسفة افلاطون موضوعة «وضعاً جديداً». وبعبارة أخرى لسنا هنا بإزاء modern platonism وإنما نحن إزاء neoplatonism وما أكثر الفرق بين المصطلحين، هذا إذا صح وجود المصطلح الأول.

هناك في اللغات الأوروبية ما يسمونه التناظر في الزمان correspondance أي حكاية ما جرى في الماضي بصيغة الماضي. لكن هذا التناظر لا وجود له في اللغة العربية، ومع ذلك نرى المترجمين الحرفيين يلتزمون به بلا مراعاة لروح اللغة العربية فيختل المعنى ويضطرب الكلام. مثال ذلك قول أحد المترجمين «زعم بوانكاريه أن قوانين الهندسة لم تكن نصوصاً بشأن الحقائق ولكنها كانت اصطلاحات اعتباطية» فهناك كما نرى تناظر بين «زعم» و«لم تكن» و«كانت» وكلها في صيغة الماضي (لا فرق بين أن يكون هذا الماضي كاملاً أو ناقصاً imparfait أو سابقاً antérieur لكن هذا التناظر إذا كان ضرورياً في اللغات الأوروبية فإنه سقيم ناشز في العربية، فالترجمة السليمة هكذا: «زعم بوانكاريه أن قوانين الهندسة ليست نصوصاً... وإنما هي اصطلاحات اعتباطية» وهاك مثالاً آخر أكثر وضوحاً: «علمت (فعل ماض) انك تكبرني (فعل مضارع) بخمسة أعوام». فلو راعينا التناظر هنا في اللغات الأوروبية لاختل المعنى ونشأت عن هذه المقارعة الغريبة: «علمت انك كنت

مطامح) الى (نقاشات، حوارات، طموحات). ما دام الجمع الاول يغنينا عن الثاني. فالمسألة، كما قلت مسألة ذوق وسباج لا مسألة قاعدة قد تنشر وتنبو حيناً وتستقيم أحياناً. ولا يفوتني أن أنه هنا بذوق مراسلي الصحف ووكالات الأنباء لعدولهم عن جمع كلمة (عنف) على (عنفات) التي يبدو أنها خدشت أسماعهم كثيراً وفضلوا عليها كلمة (أعمال العنف). وهذا يدل على بقية باقية من حس لغوي كان ينبغي تنميته، اللهم ما لم يكن هذا الجمع ترجمة حرفية لكلمة actes de violence وعندئذ يكون حسن ظني بهم في غير محله.

ومن أخطاء الترجمة أخيراً قول بعضهم في امر حدث بالفعل وكان ينبغي ألا يحدث «هذا امر لا يمكن حدوثه» يريد استقطاع الحدث واستقباح حدوثه. فكيف لا يمكن حدوثه وقد حدث بالفعل؟ هذا جائز في اللغات الأوروبية التي تضيق عن التفرقة بين الامرين الا باستعمال صيغة الشرط وهو امر لا يحسن المترجم نقله الى العربية بدقة. أما اللغة العربية ففيها الى جانب التعبير «لا يمكن حدوثه» تعبير آخر «لا يجوز حدوثه». فعندما يستقطع القائل حدوث جرعة ما ويقول عنها «هذا امر لا يمكن حدوثه»، ما باله لا يقول «انها امر لا يجوز حدوثه؟» فلا ينبغي أبداً الخلط بين «لا يمكن» و«لا يجوز»، وبالتالي التعبير عن الامر الذي حدث بالفعل بالقول أنه لا يمكن أن يحدث وأن كنا نقصد أنه لا يجوز أن يحدث. يجب بلورة هذا القصد في ألفاظ واضحة صريحة لا تحمل اللبس، ليكون اللفظ على قد المعنى بلا فجوة بينهما. ومن هذا القبيل أيضاً قولهم لا يمكن تدويل قضية لبنان، مع انها دُوِّلت بالفعل شتاً أم أبيعنا. بل يجب أن يقال «لا يجوز تدويل قضية لبنان».

أخطاء في الترجمة: قبل التطرق إلى ضعف الأداء وركاكة التعبير أحب أن ألفت الأنظار إلى مصطلح فلسفي يخطئ المختصون - فضلاً عن الأغيار

اني لا اعتبر احترامك لي كمّنة؟ فضلاً عن أن النص سقيم في ذاته، فيه قرينتان تدلان على انه مترجم وليس منقولاً عن الأصل العربي. ورغم ركاكة اللغة في عصور الانحطاط فإن الفعل (اعتبر) بمعنى (عدّ) لم يكن معروفاً فيها. فإنما هو استعمال ملحون حديث العهد لم أجده في أي قاموس رصين إلا في (المنجد) وهذا من أخطائه⁽³⁾. وهو ترجمة للكلمة *considérer* الفرنسية أو *to consider* الانكليزية. إن الفعل اعتبر القديم له مفعوله به واحد معناه التدبر والتعجب وأخذ الدرس والعبرة ولم يرد أبداً بمعنى (عدّ) ولا أعلم متى بدأ يتخذ مفعولاً ثانياً ومن تبرع له بهذا المفعول. وهناك قرينة أخرى لا تترك مجالاً للشك في أن النص مترجم ترجمة حرفية فضحتها إضافة كاف التشبيه إلى كلمة (منّة) وهي ترجمة حرفية لكلمة *comme* الفرنسية أو *as* الانكليزية التي تلحق الفعل الفرنسي *considérer* أو الانكليزي *to consider* وكثيراً ما اعثر على نصوص من هذا القبيل يدعي أصحابها انهم رجعوا فيها إلى أصل عربي قديم، والله يعلم انهم لكاذبون. وعلى ذكر القدامة في النص، وجدت هذا النص ينسبه صاحبه إلى ابن شاعر الكتبي في كتابه (فوات الوفيات): «وكانت جنازة الطوسي مظهارة كبرى». ورغم اني لم أرجع إلى الكتاب المذكور فإنني استطيت أن أؤكد أن النص مترجم، إذ لم يكن لكلمة (مظهارة) آنذاك المعنى الذي قد اكتسبته اليوم. فما أكثر الكتاب الذين يترجمون ويدعون انهم رجعوا إلى النصوص الأصلية بلا وازع من ضمير أو رادع من خلق. ماذا أقول؟ بل حتى كلمة (مؤشرات) وجدتها في نص ينسبه صاحبه إلى مؤلف قديم. وهي بلا أي شك كلمة عامية لا أدري كيف «تفصحت». فيكفي أن يتبناها أحد المترجمين الصحفيين في عجلة من أمره حتى «تفصح» وتنتشر كالنار في الهشيم في كل وسائل الاعلام.

تكبرني» وأما الآن فلم تعد تكبرني. وهذا الاحتمال لا يرد لذهن الأوروبي لأن التناظر جزء من تصوره للزمان، وأما العربي فانه يربك تصوره ويحدث فيه خللاً.

وهناك أيضاً كلمة *intelligence* التي دأب مترجمونا على ترجمتها بكلمة (ذكاء)، مع أنها قد تأتي بمعنى (عقل) ويُعرف ذلك بالقرينة. أما كلمة ذكاء بالعربية فهي تعني أكثر مما تعني كلمة (عقل). فمن الخطأ إذن ترجمة كلمة *intelligence* دائماً بكلمة ذكاء.

وكذلك هناك الفعل المتعدي (أكّد)، ولكن المترجمين حفظهم الله جعلوه فعلاً لازماً فقالوا: «أكّد على» لأنه فعل لازم باللغات الأوروبية يقال *insister sur* بالفرنسية أو *upon* أو *to insist on* بالانكليزية. وإذا كانوا حريصين على حرف الجر «على» فقد كان احري بهم أن يترجموا الفعل المذكور بالفعل «أصرّ» أو «ألح»... وهما فعلاّن لازمان. دون أن يشوهوا الفعل «أكّد».

وأخيراً لعله بفعل الترجمة وبالتالي تقليداً للغات الأوروبية دخل حرف الجر «على» على الفعل «أثر» والاسم «تأثير» فقبل أثر على كذا» و«التأثير على كذا» بدلاً من «في كذا» فليس من الجائز أبداً القول «التأثير على الأشياء» بل يجب القول «التأثير في الأشياء» ولكن المترجمين يميزون ما لا يجوز.

التمييز بين النص المترجم والنص الأصلي:

إن هذه الرطانات تفيدنا كثيراً في مسألة الرجوع إلى النصوص وهل هو رجوع حقيقي أم ادعائي؟ انظر إلى هذا النص الذي نسبته بعضهم إلى أحد المؤرخين القدامى، ولكن صيغته تدل على انه مترجم «قال نصير الدين الطوسي لهولاكو: كيف يخطر ببالك

وللأمانة أقول أني لم أجد حتى الآن نصاً ينسبه صاحبه إلى أصل قديم يحمل كلمة «ضد» الناشئة، كأن يقول مثلاً «الجهاد ضد الكفرة المشركين» أو «القتال ضد الزنادقة». فإن أحداً على ما أعرف لم تصل به الجرأة على القدماء بحيث ينسب إليهم نصاً سقياً كهذا.

التعبير الركيك

عرفت ذلك عن طريق فلان
يتوجب عليه كذا

دراسته حول المجتمع الانساني
هل أن هذه المواقف صحيحة؟
لم يتقدم بما فيه الكفاية
يدور هذا الكتاب حول موضوع كذا
بالكاد عمره عشر سنوات
التعامل معهم بالبر
سوف نتحدث الآن
الى ما لانهاية
مؤشرات

من طرف (كلمة مغربية)
كلهم حسنو (أو من حسني) ⁽¹⁾ النية
تصوره، مفهومه، نظريته فكرته عن كذا
ناهيك عن كذا
يعتمد على كذا وليس على كذا
عرضة إلى كذا
الخضوع إلى كذا
اخذ نسخة عنه
تواجد هناك
ترواح مكانها
تصليحات
ناهيك عن كذا

ركاكات لا ترجع إلى الترجمة بل إلى ضعف في الكتابة:

اسمحوا لي الآن أن انتقل من رطانات الترجمة - رغم أني لم استوعب الكلام فيها فحسي ما تقدم خشية الإطالة - الى بعض الركاكات التي يقع فيها الكثيرون. فكلاهما خطأ يتعنت اللغة ويوهنها:

التعبير الفصيح

عرفت ذلك من طريق فلان
يجب عليه (وإما التوجب فهو من الوجبة، أي الأكلة الواحدة في اليوم)
دراسته للمجتمع الانساني
هل هذه المواقف صحيحة؟
لم يتقدم تقدماً كافياً أو كما يكفي
يدور... على موضوع كذا
لا يكاد عمره يبلغ العشر سنوات
معاملتهم بالبر
ستتحدث الآن (سوف تدل على المستقبل البعيد)
إلى غير نهاية (أو إلى ما لانهاية له)
شواهد، علامات، أمارات، دلائل...
من قبل

كلهم من أصحاب النية الحسنة
تصوره مفهومه لكذا، نظريته فكرته في كذا
ناهيك بكذا
يعتمد على كذا لا على كذا
عرضة لكذا
الخضوع لكذا
أخذ نسخته
وجد هناك (التواجد معنى صوفي لا يصح إطلاقه هنا)
بقيت كما هي في مكانها
اصلاحات
ناهيك بكذا

أثر على

ما دام أن الانسان كذا

ينمُّ على

أحال الشيء إلى كذا وإحاله إلى فلان

اثر في

ما دام الانسان كذا

ينم عن (وهي غير من نم لك نم عليك)

أحال الشيء، كذا أو إلى كذا (حوّله أو بدّله)،

وأحاله على فلان

إذا... فما حكم الحيوان؟

أي امرأة... ؟ («أي» لا تؤنث إلا مع الضمير ايتكن

جاءت؟ أو مع هاء التنبيه: أيتها المرأة)

تصغير أو تقليل

إذا كان الانسان كذا فماذا عن الحيوان

أية امرأة فعلت كذا؟

تحجيم (لا أدري من اين جاء الصحفي بهذه الكلمة)

أنا لا أنكر الحاجة إلى تطور اللغة. ولكن التطوير غير التشويه. إن الرطانة ليست تطوراً، انها عملية بتر وتقطيع لأوصال اللغة. لقد تطورت اللغة كثيراً في العصر العباسي دون أن يطرأ عليها أي تشويه. حسبها انها قفزت من لغة النخل والبعر والبداءة إلى لغة العلم والفلسفة والحضارة. هذا هو التطور الحقيقي. وهذا ما أرجوه للغة الضاد.

ومهما يكن من أمر هذه الملاحظات فإني أعود فاعترف أي لست مختصاً باللغة العربية ولعل هذا ما يشفع لي. فقد سطوت على ميدان غير ميداني، لذلك أدعو أهل الشأن أن يصححوا اخطائي ويذكروا بالصواب أعمالي.

لكن التعبير الذي بلغ القمة في الغرابة أخيراً هاتان اللازمتان لا تلفظ أحدهما إلا لفظت الأخرى: «وأخيراً لا أخيراً». ولا أعرف كيف جرى هذا التعبير العجيب الى لغتنا بهذه السرعة الكبيرة. أفلا تكفي كلمة «أخيراً» للدلالة على الانتهاء؟
فللغات أعاجيب ولا أعاجيب السحرة أو حكايات الجن.

هل هذا تزمت أو عبودية للماضي؟ لا أدري. إذا كان الانضباط والالتزام عبودية فليكن. ومع ذلك فما أراه أنا انضباطاً قد يراه غيري عبودية للقوالب الجامدة. وهذه مسألة تتسع للمناقشة حقاً. فهي تنبع من فلسفة خاصة ووليدة نظرة خاصة إلى التاريخ والتطور.

الحواشي

- (1) انظر ببلوغرافيا الترجمة من مطبوعات جامعة اوتاوا بكندا عام 1979 صفحة 32. المجلد السابع الجزء الأول، يناير 1970 صفحة 158-160.
- (2) ومن أخطائه الكثيرة أيضاً انفراده، بإيراد كلمة عَلم (بفتح العين وتسكين اللام) بمعنى العالم بفتح اللام وهو ما لم أجده في أي قاموس آخر أيضاً انظر الطبعة الحادية عشرة نيسان 1949 صفحة 551.
- (3) (حسن) ربما التبس الامر على صاحب هذه الكلمة انها جمع. واذن فينبغي أن يكون أصلها حسنون! لأن النون حُذفت بسبب الاضافة أنا لم أسمع بهذا الجمع العجيب. ومن يدري؟ ففوق كل ذي علم عليم!
- (4) كذلك تؤنث في الشعر، لأن الشاعر المسكين محكوم بالوزن والقافية، فهو اذن في أزمة تميز له ما لا يجوز لغيره. ولعل الكاتب الصحفي يقيس نفسه على الشاعر! أما في النثر فلم اجدها مؤنثة الا في حالات قليلة نادرة لا يعتد بها. فالقرآن الكريم لم يؤنثها مطلقاً: «فبأي آلا ربكما تكذبتان. وكذلك الحديث، فقد تهرب من تأنيثها بإضافة «ما» اليها. ففي الحديث الشريف: «أما امرأة؛ خرجت من بيتها ومَرَّت على القوم...».